

السؤال

هل يوجد في الإسلام أعمال ، ووظائف حقيرة ، وأعمال مرموقة ؟ وهل حرص الإنسان على الطموح في أن ينال المناصب الرفيعة في عمله ضد الرضا ؟ ومتى يتعارض الطموح مع الرضا ؟ وهل حرص الإنسان على أن يعمل في وظائف ذات وجهة في المجتمع يتعارض مع الزهد في الدنيا وعدم جعلها أكبر همه ، أم أنه أمر عادي لا يمنعه الشرع ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

جعل الله هذه الدنيا مطية الآخرة ؛ وسبباً يستعين بها الإنسان على أمر الآخرة ؛ ولذلك بيّن الله في كتابه أنه سخر الأرض وما فيها للإنسان ، قال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) البقرة/29 ، وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) الملك/ 15 .

قال ابن كثير رحمه الله :

أي : فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها ، وأرجائها ، في أنواع المكاسب ، والتجارات .

"تفسير ابن كثير" (8/179) .

وكثير من الآيات والأحاديث جاءت بالحث على الكسب ، والضرب في الأرض ، وكل ذلك من أجل تحصيل المال ، ليس لمجرد جمعه ، بل ليكف به وجهه ، ويصل به رحمه ، ويستعين به على طاعة ربّه .

قال ابن القيم رحمه الله - مبيّناً فضل المال وأهميته - :

وقد سمى سبحانه المال خيراً في غير موضع من كتابه ، كقوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) البقرة/ 180 ، وقوله (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) العاديات/ 8 ... وأعلم الله سبحانه أنه جعل المال قواماً للأنفس ، وأمر بحفظه ، ونهى أن يؤتى السفهاء من النساء والأولاد وغيرهم ، ومدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) - رواه أحمد بإسناد صحيح - ، وقال سعيد بن المسيب : "لا خير فيمن لا يريد جمع المال

من حِلِّه ، يكفُّ به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ، ويعطي حقه" ، وقال أبو إسحاق السبيعي : "كانوا يرون السعة [الغنى] عوناً على الدين" ، وقال محمد بن المنكدر : "نعم العون على التقى : الغنى" ، وقال سفيان الثوري : "المال في زماننا هذا سلاح المؤمن" ، وقال يوسف بن سباط : "ما كان المال في زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان"

وقد جعل الله سبحانه المال سبباً لحفظ البدن ، وحفظه سبباً لحفظ النفس التي هي محل معرفة الله ، والإيمان به ، وتصديق رسله ، ومحبته ، والإنابة إليه ، فهو سبب عمارة الدنيا ، والآخرة

ومن فوائد المال : أنه قِوام العبادات والطاعات ، وبه قام سوق برِّ الحج والجهاد ، وبه حصل الإنفاق الواجب والمستحب ، وبه حصلت قربات العتق ، والوقف ، وبناء المساجد ، والقناطر ، وغيرها ، وبه يتوصل إلى النكاح الذي هو أفضل من التخلي لنوافل العبادة ، وعليه قام سوق المروءة ، وبه ظهرت صفة الجود والسخاء ، وبه وُقيت الأعراض ، وبه اكتسبت الإخوان والأصدقاء ، وبه توصل الأبرار إلى الدرجات العلى ، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم ؛ فهو مرقاة يصعد بها إلى أعلى غرف الجنة ، ويهبط منها إلى أسفل سافلين ، وهو مقيم مجد الماجد ، كان بعض السلف يقول : "لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال" ، وكان بعضهم يقول : "اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى" ، وهو من أسباب رضا الله عن العبد ، كما كان من أسباب سخطه عليه .

"عدة الصابرين" (ص221 – 223) باختصار .

ولتحقيق هذه الغايات الشريفة للمال : عمل الأنبياء ، والرسل بمهن ، وحرَف ، ووظائف مختلفة ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ) ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : (نَعَمْ ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ) رواه البخاري (2143) ، وكذا عمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالتجارة مع عمه أبي طالب ، ثم عمل في التجارة في أموال زوجه خديجة رضي الله عنها ، كما هو مشهور في السيرة .

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا) رواه مسلم (2379) .

وقد أخبر الله تعالى عن عمل داود عليه السلام بقوله : (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) الأنبياء / 80 .

وعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ الْمُقْدَامِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) رواه البخاري (1966) .

فداود عليه السلام كان نبياً وملكاً ، أتاه الله ملكاً عظيماً ، ومع ذلك كان عليه السلام يأكل من عمل يده ، فكان يعمل الدروع من الحديد ويبيعها .

وقد أكد الإسلام مبدأ السعي في الأرض ، وطلب الرزق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كَانَ ذُو الْمَجَازِ" ، و "عُكَاطٌ" مَتَجَرَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ كَانَتْهُمْ كَرْهُوا ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ رواه البخاري (1681) .

وقد نص الفقهاء والمحدثون على ذلك ؛ فبوب البخاري في صحيحه في كتاب البيوع باب "الخروج في التجارة وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) الجمعة/10" ، ثم ذكر حديث أبي موسى الأشعري مع عمر وقول عمر : (أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ) يَعْنِي : الْخُرُوجَ إِلَى تِجَارَةٍ . رواه البخاري (1956) ومسلم (2153) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

قَالَ ابْنُ الْمُنَيْرِ فِي "الْحَاشِيَةِ" : غَرَضُ الْبُخَارِيِّ إِجَازَةُ الْحَرَكَاتِ فِي التِّجَارَةِ ، وَلَوْ كَانَتْ بَعِيدَةً ، خِلَافًا لِمَنْ يَتَنَطَّعُ وَلَا يَحْضُرُ السُّوقَ .

"فتح الباري" (4/349) .

وبوب البخاري - كذلك - : "باب التِّجَارَةِ فِي الْبَحْرِ" ، و "باب ما قيل في الصَّوَاغِ" ، و "باب ذكر القين والحداد" ، و "باب الخياط" ، و "باب النسيج" ، و "باب النجار" ... إلخ .

وأراد البخاري بهذه التبويبات وأحاديثها : التدليل على مشروعية العمل ، والاحتراف ، والتمهن .

فما يظنه بعض الناس من أن الإسلام لا يحث على التكسب ، والعمل ، فهو ظن غير صحيح.

وما يظنه كثيرون في بعض المهن أنها دنيئة - كالنجارة ، والحدادة ، والرعي - : فغير صحيح ، ويكفي لردِّه ثبوت هذه المهن ، والأعمال لخيرة خلق الله ، وهم الأنبياء ، والرسل ، عليهم السلام .

ثانياً :

لا يعارض الإسلام أن يكون الإنسان في مهنة مرموقة ، ووظيفة حسنة ، بل يشجع الإسلام على ذلك ، وأن يكون الإنسان في أحسن مستوى ، وأكمل حال ، بل وأن يطلب الأفضل والأحسن ، ويسعى لتحصيله ، بشرط أن لا يؤثر ذلك على دينه ، واستقامته ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ) رواه مسلم (2664) ، و (خَيْرٌ نَكْرَةٌ تَعْمُ كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةِ) .

وقد كره الإسلام مزاوله بعض المهن الدنيئة ، وأمر المسلم أن يترفع عنها ، كما جاء في الحديث عَنْ ابْنِ مُحَيِّصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِجَارَةِ الْحَجَّامِ فَتَهَاهُ عَنْهَا فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَأْذِنُهُ حَتَّى قَالَ : (اعْلِفْهُ نَاضِحَكَ [البعير]

وَأَطْعِمُهُ رَقِيقَكَ) رواه أبو داود (3422) والترمذي (1277) وحسنه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - كَسْبَ الْحَجَامِ - فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ حَلَالٌ ... وَقَالُوا : هُوَ كَسْبٌ فِيهِ دَنَاءَةٌ ، وَلَيْسَ بِمُحَرَّمٍ ، فَحَمَلُوا الزَّجْرَ عَنْهُ عَلَى التَّنْزِيهِ .

"فتح الباري" (4/459) .

وقال رحمه الله :

إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا مِنَ الْمَكَاسِبِ الدَّنِيَّةِ أَنْ لَا تُشْرَعَ ؛ فَالْكَسَاحُ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَجَامِ ، وَلَوْ تَوَاطَأَ النَّاسُ عَلَى تَرْكِهِ لَأُضِرَّ ذَلِكَ بِهِمْ .

"فتح الباري" (4/324) .

وقال ابن قدامة رحمه الله :

وإنما كره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك للحرّ تنزيهاً ؛ لدناءة هذه الصناعة ، وأمره صلى الله عليه وسلم بإطعام الرقيق منها : دليل على الإباحة ، فيتعين حمل نهيه عن أكلها على الكراهة دون التحريم .

"المغني" (6/133) .

فيتحصل من هذا : أنه يوجد مهَنَ ، ووظائف ، يمكن الاصطلاح عليها بأنها "دنيئة" ، كالحجامة ، وكجمع القمامة ، والعمل في المجاري ، ونحو ذلك .

وننبه هنا إلى أمور :

1- لا يعني أنها مهنة دنيئة أنه يحرم العمل بها ، وقد سبق بيان ذلك .

2- قد تكون هذه المهنة مناسبة لبعض الأشخاص ، لكونه لا يحسن غيرها - مثلاً - فعمله بها خير له من البطالة ، وأخذ الصدقات من الناس .

3- لا شك أن المجتمع المسلم يحتاج لهذه المهنة ، وهي ضرورية ، فعدم جمع القمامة لأيام قليلة يعني صعوبة الحياة في ذلك المجتمع ، ويعني انتشار الأمراض والأوبئة ، ولذلك يجب على الدولة الإسلامية أن تُكرم أهل هذه الوظائف بميزات تشجيعية ،

حتى لا ينقطع الناس عن العمل بها .

4- لا ينبغي تعيير من يعمل بهذه المهن أو إهانتهم ، ممن قلَّتْ عنده فرص التعليم ، أو كان ضعيف العقل ، أو كانت له ظروف خاصة ألجأته إلى العمل في هذه المهن ، فالعاملون بها بلا شك أفضل ممن يمد يده للناس ، ويعرّض وجهه للمذلة .

ثالثاً :

حث الإسلام على تحصيل الكمال الديني ، أو الدنيوي لا يعارض الرضا بما قسم الله تعالى للإنسان ؛ لأن من أسباب نيلها : بذل الأسباب ، فمباشرة الأسباب التي خلقها الله بحكمته ، وتدبيره : تُفضي في الأغلب الأعم إلى تحصيل مسبباتها .

وأما إذا طلبها الإنسان بغير ما أحله الله ، كطلبها بمعصية ، أو غش ، أو تدليس وكذب ، أو رشوة ، وكان همه الأعظم تحصيل هذه المنافع الدنيوية من غير استثمارها في طاعة الله : فقد خالف الرضا بما قسم الله ، ووقع في معصيته .

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً عظيماً لحِرص الإنسان على المال ، والجاه ، ففي الحديث عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا ذُنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ) رواه الترمذي (2376) وصححه الألباني في "سنن الترمذي" .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

ولا ريب أن الحرص ، والرغبة في الحياة الدنيا ، وفي الدار الدنيا ، من المال ، والسلطان : مضرٌّ ، كما روى الترمذي عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا ذُنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ) وقال : حديث حسن صحيح .

فدَم النبي صلى الله عليه وسلم الحرص على المال ، والشرف – وهو الرياسة والسلطان – وأخبر أن ذلك يفسد الدين ، مثل ، أو فوق : إفساد الذنبيين الجائعين لزريبة الغنم .

"مجموع الفتاوى" (20/142) .

وقال ابن القيم رحمه الله :

وإنما يُذَمُّ منه [المال] ما استخرج من غير وجهه ، وصرف في غير حقه ، واستعبد صاحبه ، وملك قلبه ، وشغله عن الله ، والدار الآخرة ؛ فيذَمُّ منه ما يتوصل به صاحبه إلى المقاصد الفاسدة ، أو شغله عن المقاصد المحمودة ، فالذم للجاعل ، لا للمجْعول ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالِدَرَّهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِصَةِ) – رواه البخاري (2730) – فذَمَّ عبدهما ، دونهما

"عدة الصابرين" (ص221 ، 222) .

وأما الزهد في الدنيا : فلا يعارض طلب المال ، والعمل بالوظائف المرموقة ، وانظر في ذلك جواب السؤال رقم : (105352)

وأخيراً ... يجب أن يعلم أن طلب الوظائف المرموقة ، والمناصب العالية لا يجوز إلا لمن أخذها بحقها وأدى الحق الذي عليه فيها ، أما من أخذها بغير حقها ، أو لم يتق الله فيها ، ولم يقم بالواجب عليها ، بل أخذها وسيلة لظلم الناس وقهرهم ، والاستعلاء عليهم ، أو لجمع المال ولو من الحرام ، فتلك المناصب والرياسة ستكون وبالاً على صاحبها يوم القيامة .

وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَتَسْكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري (7148) .

وروى مسلم (1825) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي ، قَالَ : فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) .

قال النووي رحمه الله "شرح صحيح مسلم" :

"هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوُظَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ ، وَأَمَّا الْخِزْيُ وَالنَّدَامَةُ فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا ، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ ، وَيَنْدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ ، وَعَدَلَ فِيهَا ، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ ، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ) ... وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُتَعَقِدٌ عَلَيْهِ ، وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ، وَكَذَا حَذَرُ الْعُلَمَاءِ ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ ، وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا" انتهى .

والله أعلم